يوسف بن أسباط

مواقف ومواعظ
من حياة التابعين

[13]

يوسف بن أسباط

يوسف بن أسباط

كان العلم والخوف شعاره.

والتخلي عن فضول الدنيا دثاره.

من قرية يُقال لها: شيح.

عابدة تخاطب ربها:

خرج يوسف بن أسباط حاجًا، ولما اقترب من أم القرى وجد قومًا معهم امرأة تقول:

- أين بيت ربي؟

فقال لها يوسف بن أسباط:

- الساعة ترينه.

فلما رأى القوم بيت الله الحرام قالوا لها:

- هذا بيت ربك أما ترينه؟

فخرجت تشتد وتقول:

- بيت ربي بيت ربي.

حتى وضعت جبهتها على الكعبة.

يقول يوسف بن أسباط:

- فوالله ما رفعت جبهتها إلا ميّتة.

ورأى يوسف بن أسباط بدوية دخلت الطواف فقالت:

- يا حسن الصحبة - تخاطب ربّها -.

جئتك - من بعيد.

أقبلت أسالك سترك الذي لا تخرقه الرماح ولا تزيله الرياح.

وبينما يوسف بن أسباط يطوف سمع امرأه تقول:

- يارب: ذهبت اللذَّات وبقيت التبعات.

يارب: سبحانك! وعزتك إنك لأرحم الراحمين.

يارب: مالك عقوبة إلا النار.

فقالت صاحبة لها كانت معها:

- يا أُخيَّة: دخلت بيت ربك اليوم؟

فقالت المرأة وهي تشير إلى قدميها:

- والله ما أرى هاتين القدمين أهلاً للطواف حول بيت ربي، فكيف أراهما أه لاً أطأ بهما بيت ربي ؟ وقد علمت حيث مش ت وإلى أين م تا؟

ولما فرغ يوسف بن أسباط من صلاة العشاء الآخرة، سمع امرأة متعبدة في جوف الليل متعلقة بأستار الكعبة تبكي وتقول:

- يا كريم الصحبة.

ويا حسن المعونة.

أتيتك من شقة - الشقة: المسافة - بعيدة متعرضة لمعروفك الذي وسع خلقك، فلتكن من معروفك معروفًا تغنيني به عن معروف من سواك.

يا أهل التقوى ويا أهل المغفرة.

يقول يوسف بن أسباط:

ثم صرخت صرخة سقط لوجهها فحملت مغشيًا عليها.

وبينما يوسف بن أسباط يطوف بالبيت إذ هو بجويرية متعبدة فإذا هي تقول:

يا رب.

كم شهوة ذهبت لذتها وبقيت تبعتها؟

يا رب.

ما كان لك عقوبة ولا أدب إلا النار؟

قال يوسف بن أسباط:

فوالله ما زال مقامها حتى طلع الفجر.

الزهد والتواضع:

وسأل المسيب بن واضح يوسف بن أسباط:

- الزهد ما هو؟

قال يوسف بن أسباط:

- أن تزهد فيما أحل الله، فأما ما حرم الله فإن ارتكبته فك الله.

- فقال المسيب:

- ما غاية الزهد؟

قال يوسف بن أسباط:

- لا تفرح بما أقبل، ولا تأسف على ما أدبر.

قال تميم بن سلمة:

- فما غاية التواضع؟

قال يوسف بن أسباط:

- أن تخرج من بيتك فلا تلقى أحدًا إلا رأيت أنه خير منك.

الشهوات مفسدة للقلوب:

قال يوسف بن أسباط لعبد الله بن حبيق:

عجبت كيف تنام عين مع المخافة؟

أو يعقل قلب مع النفس بالمحاسبة؟

من عرف وخوف حق الله على عباده ولم يشتمل علينا عيناه إجلالاً، بإعطاء المجهود من نفسه.

خلق الله القلوب مساكن فسارت للشهوات، والشهوات مفسدة للقلوب، وتلف للأذموال، فإحلاق للوجوه لا تمحو الشهوات من القلوب إلا خوف مزعج، أو شوق مؤرق.

قراء هذا الزمان:

قال يوسف بن أسباط، لعبد الله بن حبيق:

- والله، لقد أدركت أقواما فسَّاقًا، كانوا أشد إبقاء على مروءاتهم من قرَّاء هذا الزمان على أديانهم.

ثم قال يوسف، وهو ينظر نحو ابن حبيق:

- إياك أن تكون من قرَّاء السوء، مثل قرَّاء هذا الزمان، مثل: درهم ريف حتى يمر بالجهد فيبدو زيفه.

عميت الأبصار وصُمّت الآذان:

كتب يوسف بن أسباط إلى حذيفة المرعشي:

أما بعد:

فقد استقبلنا من هذه السنة أمورًا كثيرة، **الآية الواحدة منها تعمي وتصم**، وقد صرنا بين ظهراني قوم قد صيروا المعروف منكرًا، والمنكر معروفًا، وقد يستقام بهم ذلك جاريًا، فإن كان بينهم بصير أعموه، عميت الأبصار وصمت الآذان، ولن ينجو في دهرنا هذا إلا ما

شاء الله.

الصدق قد رُفعَ من الأرض:

كتب أبو جعفر الحذاء إلى يوسف بن أسباط يشاوره في التحويل إلى الحجار، فكتب يوسف بن أسباط إليه:

أما ما ذكرت من تحويلك إلى الحجار، فليكن همك خيرك، وما أرى موضعك إلا أضبط للخير من غيره، وما أحب أحد يفر من شيء إلا وقع في أشد منه، وإنَّما طيب الموضع بأهله، وقد ذهب من نُوقش به ويستراح إليه، وإن علم الله منك الصدق رجوت أن يصنع الله لك، وإنْ كان الصدق قد رُفعَ من الأرض.

منافقو هذه الأمة:

كتب جعفر الرقي إلى يوسف بن أسباط في مسائل، فكتب يوسف بن أسباط إليه جوابها:

أما ما ذكرت من أن يكون العبد عارفًا بالله عارفًا بنفسه.

فالعارف بالله: المطيع لله في جميع ما عرفه.

والعارف بنفسه: الذى يخاف من حسناته أن لا تقبل، قال الله عز وجل: {وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ} [سورة المؤمنون الآية: ٦٠]، يعطون ما أُعطوا وهم يخافون أن لا يتقبل منهم.

ثم قال يوسف بن أسباط:

اكتبوا إلى حذيفة - المرعشي -:

أما بعد:

فإني أوصيك بتقوى الله، والعمل بما علَّمك الله، والمراقبة حيث لا يراك أحد إلا الله، والاستعداد لما لا حيلة لأحد في دفعه - الموت -، ولا ينتفع بالندم عند نزوله، فاحسر عن رأسك قناع الغافلين، وانتبه من رقدة الموتى، وشمّر الساق فإن الدنيا ممر السابقين، فلا تكن ممن قد

أظهر الشك، وتشاغل بالوصف وترك العمل بالموصوت له، فإن لنا ولك من الله مقامًا يسألنا فيه عن الرمق الخفي، وعن الخليل الجافي، ولست آمن أن يكون فيما يسألني ويسألك عنه وساوس الصدور، ولحاظ الأعين، وإصغاء الأسماع، وما يصخر مثل عن صفة مثله.

اعلم أن مما يوصف به منافقو هذه الأمة أنهم خالطوا أهل الدين بأبدانهم، وفارقوهم بأهوائهم، وخففوا مما سمعوا من الحق ولم ينتهوا عن خبيث فعالهم، إذ ذهبوا إليه فنا زعوا في ظاهر أعمال البر بالمحامل والرياء، وتركوا باطن أعمال البر مع السلامة والتقى، كثرت أعمالهم بلا تصحيح، فلحرمهم الله الثمن الربيح.

واعلم يا أخي أنه لا يجزينا من العمل القول، ولا من الفعل ولا من البذل العدة، ولا من التوقي التلاوم، وقد صرنا في زمان هذه صفة أهله، فمن يكن كذلك فقد تعرَّض للمهالك.

احذر القراء المصغين، والعلماء المتحرين، حيوا بطرق وصدوا الناس عن سبيل الهوى، وفقنا الله وإياك لما يحب.

والسلام.

شيطانان:

قال عبد الله بن حبيق:

قال لي يوسف بن أسباط:

خرجت سحرًا لأؤذن، فإذا عليَّ ليل - لم يحن بعد آذان الفجر بعد وبقيت قطعة من الليل - فقعدت فإذا أسود مقبل وفي يده حجر يريد أن يضربني ووراءه شيء أبيض بيده حجر يريد أن يصرفه عني فصرفه.

فقلت:

- هذان شيطانان يريدان أن يريني أني رجل صالح.

فقلت:

- كلاكما شريطانان.

فطارا.

رسالة:

قال يوسف بن أسباط:

كتب إليَّ محمد بن سمرة السايح بهذه الرسالة:

أي أخي!

إليك وتأمير التسويف على نفسك وإمكانه من قلبك، فإنه محل الكلال وموئل التلف، وبه تقطع ا لآمال وفيه - و به - تنقطع ا لآجال، فإنك إن فعلت ذلك أدلته من عزمك - جعلت له ال غلبة والسلطان - فاجتمع هواك عليك فغلبا واسترجعا من بدنك من الس آمة ما قد ولى عنك، فعند مراجعته إياك لا تنتفع نفسك من بدنك بنافعة.

وبادر يا أخي فإنك مبادرٌ بك، وأسرع فإنك مسروع بك، وجِدّ فإن الأمر جد، وتيقظ من رقدتك وانتبه من غفلتك، وتذكر ما أسلفت وقصرت، وأفرطت وجنيت وعملت فإنه مثبت محصى، وكأنك بالأمر قد بغتك فاغتبطت بما قدمت وندمت على ما فرطت.

فعليك بالحياء والمراقبة والاعتزال وقلة الملاقاة، فإن السلامة في ذلك موجودة.

وفقنا الله وإياك لأرشد الأمور، ولا قوة بنا وبك إلا بالله.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله الطاهرين.

من أقوال يوسف بن أسباط:

كان يوسف بن أسباط يقول:

* **الزهد في الرياسة أشد من الزهد في الدنيا.**

* إن طلب الحلال فريضة، والصلاة في الجماعه سنة.

* من دعا لظالم بالبقاء، فقد أحب أن يعصى الله.

* أتى يوسف بن أسباط بباكورة ثمرة فغسلها ثم وضعها بين يديه - أمامه - وقال:

- إن الدنيا لم تخلق لين ظر إليها، وإنَّما خلقت لينظر بها إلى الآخرة.

* لا يقبل الله عملاً فيه مثقال حبة من رياء.

* **اللهم عرفنى نفسي ولا تقطع رجاءك عن قلبي.**

* لأن تقطع يدي ورجلي أحب إليَّ من أن آكل من ذي المال شيئًا - يعني عطية الأمراء -.

* بلغنى أن الله تعالى أوحى إلى إبراهيم - عليه السلام -:

- ترى لم اتخذتك خليلاً ؟ لأنك تعطى الناس ولا تأخذ من أحد شيئًا.

* يجزي قليل الورع عن كثير العمل، ويجزي قليل التواضع عن كثير الاجتهاد.

* لي أربعون سنة ما حاك في صدري شيء إلا تركته.

* تعلموا صحه العمل من سقمه، فإني تعلمته في اثنين وعشرين سنة.

* لو أن رجلاً ترك الدنيا مثل أبي ذر - الغفاري - وسلمان - الفارسي - وأبي الدرداء ما قلنا له زاهد؛ لأن الزهد لا يكون إلا في الحلال المحض، والحلال المحض لا يعرف اليوم.

* إنى أخاف أن يعذب الله الناس بذنوب العلماء.

* الأشياء ثلاثة:

حلال بيّنٌ وحرامٌ بيّنٌ لا شك فيه، وشبهات بين ذلك.

فالمؤمن: من إذا لم يجد الحلال يتناول من الشبهات ما يقيه.

كان يُقال: اعمل عمل رجل لا ينجيه إلا عمله، وتوكل توكل رجل لا يصيبه إلا ما كتب له.

* من خاف الله خاف منه كل شيء.

* إذا رأيت الرجل قد أشر وبطر فلا تعظه فليس للعظة فيه موضع.

* **يرزق الصادق ثلاثة خصال: الحلاوة، والملاحة، والمهابة.**

يوسف بن أسباط وأحاديث النذير البشير ﷺ :

أدرك يوسف بن أسباط: حبيب بن حسان، ومحمد بن خليفة، والسري بن إسماعيل، وعابد بن شريح، وسفيان الثوري، وحبيب بن حيان، وزائدة... وغيرهم.

* قال محمد بن خنيس عن يوسف بن موسى بن عبد الله المروزي عن عبد الله بن حبيق عن يوسف بن أسباط عن حبيب بن حيان، عن زيد بن وهب عن عبد الله بن مسعود قال:

قال رسول الله ﷺ :

♂**إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يومًا نطفة ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يبعث الله إليه ملكًا ويؤمر بأربع كلمات ويقال له: اكتب عمله ورزقه وأجله وشقي أو سعيد، ثم ينفخ فيه الروح، فإن الرجل منكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار، وإن الرجل ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا زراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخل الجنة**ـــ (رواه البخاري وأبو داود والترمذي وابن ماجه والنسائي

عن ابن مسعود).

* قال أبو بكر محمد بن حميد عن أحمد بن محمد بن عبد ال خالق عن أبي همام عن أبي الأحوص عن يوسف بن أسباط عن عاصم بن شريح عن أنس بن مالك قال:

♂**صليت خلف رسول الله ﷺ وأبي بك ر وعمر وعثمان وعل ي كانوا يفتتحون القراءة بالحمد لله رب العالمين**ـــ (رواه أبو نعيم في الحلية).

* وقال أبو محمد بن حيان، عن القاسم بن محمد بن عمر الجنيد، عن أبي همام، عن أبي الأحوص، عن يوسف بن أسباط، عن رجل من أهل البصرة عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ :

♂**ما الذي يعطى من سعة بأعظم أجرًا من الذي يقبل إن كان محتاجًا** ـــ (رواه الطبراني في ا لأوسط وأبو نعيم في الحلية، عن أنس).

قال أبو أحمد محمد بن محمد بن إسحاق الحافظ عن محمد بن المسيب عن عبد الله بن حبيق، عن يوسف بن أسباط عن سفيان الثوري عن الأعمش عن عماره بن عمير، عن صلة بن زفر، عن حذيفة بن اليمان قال:

♂**كان رسول الله ﷺ يقول في ركوعه: سبحان ربي العظيم، وفي سجوده: سبحان ربي الأعلى** ـــ. (رراه أبو نعيم في الحلية، عن حذيفة).

* قال أبو مسلم محمد بن معمر عن أبي بكر بن أبي عاصم عن المسيب بن واضح عن يوسف بن أسباط عن سفيان الثوري عن محمد بن المنكدر عن جابر قال:

قال رسول الله ﷺ :

♂**مدارا ة الناس صدق ة** ــــ (رواه ابن حبان في صحيحه والطبراني في المعجم الكبير والبيهقى في شعب ا لإيمان، عن جابر بن عبد الله).

* قال سليمان بن أحمد عن محمد بن عبد الباق ي المصيصي عن المسيب بن واضح، عن يوسف بن أسباط عن سفيان الثوري عن ابن المنكدر عن جابر قال:

قال رسول الله ﷺ :

♂**لو أن ابن آدم هرب من رزقه كما يهرب من الموت لأدركه رزقه كما يدركه الموت** ــــ (رواه أبو نعيم في ا لحلية، عن جابر بن عبد الله).

* قال محمد بن المظفر، عن أحمد بن يوسف بن إسحاق البحري، عن عبد الله بن حبيق عن يوسف بن أسباط عن سف يان الثوري عن أبي إسحاق السبيعي عن سعيد بن وهب، عن عبد الله بن عمر قال:

قال رسول الله ﷺ :

♂**من أتى كاهنًا أو عرافًا فصدَّقه بما يقول، فقد كفر بما أُنزِلَ على محمد** ﷺ ــــ (رواه الإمام أحمد وا لحاكم في المستدرك وأبو نعيم في الحلية عن ابن عمر.

* قال الحسين بن محمد الزبيري عن محمد بن المسيب عن عبد الله بن حبيق عن يوسف بن أسباط عن العزرمي عن عبد الله بن زحر، عن على بن يزيد، عن القاسم عن أبي أمامة قال:

قال رسول الله ﷺ :

♂**إن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله ما يظن أن تبلغ ما بلغت من سخط الله فيوجب الله له بها النار إلى يوم القيامة** ــــ (رواه أبو

نعيم في الحلية عن أبي أُمامة).

* قال أبو يعلى وإبراهيم بن محمد عن محمد بن المسيب عن عبد الله بن حبيق عن يوسف بن أسباط عن سفيان الثوري عن جعفر بن محمد عن أبيه عن علي بن الحسين قال:

قال رسول الله ﷺ :

♂**مِن حُسْنِ إسلام المرء، تركُهُ ما لا يَعْنِيه**ـــ (رواه أبو نعيم في الحلية).

* وقال إبراهيم بن محمد عن محمد بن المسيب عن عبد الله بن ح بيق عن يوسف بن أسباط عن سفيان الثوري عن محمد بن عمر عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال:

سمعت رسول الله ﷺ يقول:

♂**يدخل فقراء أمتي الجنة قبل الأغنياء بمائة عام**ـــ (رواه أبو نعيم في الحلية عن أبي هريرة).

قال محمد بن علي عن الحسين بن محمد بن حماد عن المسيب بن واضح عن عبد الله بن حبيق عن يوسف بن أسباط عن مالك بن مغول عن منصور عن خيثمة عن عبد الله ابن مسعود قال:

قال النبي ﷺ :

♂**الندم توبة، والتائب من الذنب كمن لا ذنب له** ـــ (رواه الطبراني في المعجم الكبير وأبو نعيم في الحلية).

* قال أبو محمد بن حبان عن العباس بن أحمد السامي عن المسيب بن واضح عن يوسف بن أسباط عن سفيان الثوري عن حجاج عن يزيد الرقاشي عن أنس بن مالك قال:

قال رسول الله ﷺ :

♂**كاد الفقر أن يكون كفرًا، وكاد الحسد أن يسبق القدر**ـــ (رواه أبو نع يم في الحلية وأورده العجلون ي في كشف الخفاء 2/ 108، ورواه الطبراني بسند فيه ضعف).

قالوا عن سفيان بن أسباط:

* قال شعيب بن حرب:

ما أقدم عليه أحدًا من هذه الأمة البر عشرة أجزاء تسع ة منها في طلب الحلال وسا ئر البر في جزء واحد وقد أخذ يوسف بن أسباط التسوعة وشارك الناس في العاشر.

* قالت زوجة يوسف بن أسباط:

كان يقول: أشتهي من ربي ثلاث خصال.

فقلت:

- وما هنَّ؟

- أشتهي أن أموت حين أموت وليس في ملكي درهم، ولا يكون عليَّ دين، ولا على عظمي لحم.

قالت امرأة يوسف بن أسباط:

فلعطى ذلك كله ولقد قال لي في مرضه:

- أبقي عندك نفقة؟

قلت:

- لا.

قال:

- فما ترين؟

قلت:

- أخرج هذه الخابية البيع.

فقال:

- يعلم الناس بحالنا ويقولون: ما باعوها إلا وثم حاجة شديدة.

فلأخرج إليَّ شيئًا كان أهداه إليه بعض إخوانه فباعه بعشرة دراهم وقال:

اعزلى منها درهمًا لحنوطي، وأنفقي باقيها.

فمات وما بقى غير الدرهم.

وفاة يوسف بن أسباط:

توفى يوسف بن أسباط قبل المائتين بسنة.

رحم الله العبد الصالح ذا الجد والنشاط والمستبق إلى الصراط يوسف بن أسباط.

* * *